إشكالية العلم والأخلاق:
في النقد الأخلاقي والمعرفي للحداثة الغربية
من منظور بديع الزمان النورسي

ذ. عزيز البطيوي(*)

تقديم

اتخذت الحضارة المعاصرة - عبر سياقات تاريخية وانقلابات معرفية ومنهجية - مسارا تحقق فيه الغلبة لمنطق الحداثة الغربية ونموذجها التفسيري لقضايا الوجود والمعرفة والقيم، وخلفيتها الفلسفية لثلاثية الإيمان والعلم والأخلاق. ولعل تغول الحداثة اليوم ومساراتها المتعددة التي سلكتها خلال مسيرتها التاريخية وانعكاساتها على الأمم والأفراد، وتهديدها الصارخ لمنظومات الأخلاق وأسس الإيمان يستدعي منا صياغة نموذج معرفي قادر على مراجعة مفاهيمها وأسسها ومنظومتها المعرفية، والعلمية - التقنية، والأخلاقية، والكشف عن أزمة نمطها المعرفي ورؤيتها للعلم والأخلاق وآثاره السلبية على حضارتنا اليوم، وتقديم رؤية "بديل" بمنظور حضاري متكامل، وبهدف مستقبل أفضل للإنسانية. ومن يتأمل كليات رسائل النور يدرك مدى قدرتها على النهوض بهذا المهمة الحضارية في الكشف عن طبيعة العلاقة بين العلم والأخلاق في المشروع الحداثي المادي الغربي وتقديم رؤية نقدية تصحيحية مؤسسة على الخطاب القرآني وعلى فهم الأصول الفلسفية والتاريخية للحداثة الغربية في تصورها لهذه العلاقة وانعكاساتها على بنية العلم ومنظومة الأخلاق والعلاقات الإنسانية.

ففي رسائل النور رؤية متكاملة في تفكيك عناصر الخطاب الحداثي الغربي في تناوله لإشكالية العلم والأخلاق، ونقده معرفيا وأخلاقيا بآليات واستراتيجات معرفية ومنهجية دقيقة وواضحة، فالنورسي رحمه الله جاء على قدر في مرحلة تعالت فيها

(*) أكادير- المغرب. elbittioui@gmail.com

صيحات فلسفات الحداثة بالغرب في نهاية القرن التاسع عشر، فعظم أمرها، وتقطعت أسباب العلم عن أسباب الأخلاق، وفتن الناس بها ودبرت الأمور لتسقط هذه الحداثة آخر معقل للخلافة. والنورسي رحمه الله يجول ببصره وبصيرته في ذلك العالم وينظر في المآسي والرعب الذي أحدثته الحداثة، وأخذ على نفسه أن يقول كلمة حق أمام عالم جائر، كلمة تكشف عن زيف الحداثة الغربية، وعن أصولها التاريخية وأزمتها المعرفية والمنهجية في تشييدها لنموذج تفسيري لإشكالية العلم والأخلاق، وتظهر ضآلة الأمل في أن تتجاوز هذه الحداثة مشاكل الحضارة المعاصرة التي أخرجت العلم عن مساره وفرضت فلسفتها الطبيعية المتعفنة[1] فعدلت عن الفطرة، وخالفت الحق، وحادت عن الهدى.

رؤيتان لإشكالية العلم والأخلاق

وتفصح إشكالية العلاقة بين العلم والأخلاق عن وجود تعارض وتمايز بين رؤيتين أو منظومتين: رؤية توحيدية إيمانية ذات أبعاد قيمية إنسانية، ورؤية مادية طبيعانية ذات أبعاد صراعية تشييئية. تقوم الرؤية الأولى على التكامل والتساند بين العلم والقيم، وتنفي إمكانية التعارض بين العلم والدين، أو العقل والنقل، وتمنح للعلم طابعا عمليا وبعدا حضاريا إنسانيا حينما تقرنه وتسنده بمنظومة قيمية تتسم بالأصالة والفعالية. في حين تعمل الرؤية الثانية على التأكيد على أن طبيعة العلم منافية لطبيعة الدين، وحيث أن المرجعية المؤسسة للأخلاق هي الدين فإن طبيعة العلم متعارضة مع طبيعة الأخلاق. ولذلك لا يمكن إدراك حقيقة الحداثة الغربية إلا من خلال الكشف عن كيفية حضور نظام القيم داخل الإطار المعرفي لهذه الحداثة. وقد بين النورسي في كثير من تحليلاته الدقيقة أن الحداثة الغربية لم يكن بإمكانها أن تتغول إلا بنفي القيم خارج العلم واعتبار الأخلاق عالما من الأوهام والأضاليل وشبكة من الخرافات والأساطير، أو في أحسن الأحوال هي ذات طابع اجتماعي تاريخي تحولي لا تتعلق بمرجعية دينية مطلقة. لكن الحداثة بإلغائها لهذه العلاقة الجدلية بين العلم والأخلاق انشغلت بابتداع أخلاق جديدة بديلة عن الأخلاق ذات المرجعية الدينية تعيد بها توجيه العلم ونظرياته وتطبيقاته العملية في الحياة اليومية للإنسان بمنطق استهلاكي نفعي، فتم تحرير الأخلاق من مصدرية الدين وسلطة المعتقد الديني السماوي لصالح قيم القوة والمنفعة والصراع

(١) النورسي، الكلمات، ص ٦٤٢

والعنصرية "فالمدنية الحاضرة تؤمن بفلسفتها: أن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي "القوة" وهي تستهدف "المنفعة" في كل شيء. وتتخذ "الصراع" دستوراً للحياة. وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطةً للجماعات. وغايتها هي "لهو عابث" لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى. ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "التجاوز". وشأن "المنفعة" هو "التزاحم" إذ هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم. وشأن "الصراع" هو "التصادم" وشأن "العنصرية" هو "التجاوز" حيث تكبر بابتلاع غيرها.

فهذه الدساتير والأسس التي تستند إليها هذه المدنية الحاضرة هي التي جعلتها عاجزة - مع محاسنها - عن أن تمنح سوى عشرين بالمائة من البشر سعادة ظاهرية بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق."[١]

البنية النفاهيمية للحداثة الغربية والمرجعية الفلسفية لفصل الأخلاق عن العلم

لم يرد النورسي رحمه الله أن يغرق رسائله بالإحالة إلى فلسفات الغرب الحداثية، معرضا بذلك عن الدخول في تفريعات قد تخرج بالرسائل عن الهدف الذي أراده لها ولكن أجمل هذه الفلسفات وجردها في بنيتها المفاهيمية وآثارها في التاريخ الإنساني المعاصر. وقد بذل النورسي جهدا ثوريا في نقد الأطروحات العلموية والفلسفات الحداثية التي تقيم المنابذة والمفاصلة بين العلم والدين عل خلفية صراعية مادية. إن مسار الحداثة/المدنية الحاضرة قد تشكل حسب النورسي عبر سياق تاريخي تعود جذوره إلى الفلسفة اليونانية والرومانية، فقد "كانت روما القديمة واليونان يملكان دهاءً، وهما دهاءان توأمان، ناشئان من أصل واحد. أحدهما غلب الخيال عليه. والآخر عبد المادة. ولكنهما لم يمتزجا، كما لا يمتزج الدهن بالماء. فحافظ كل منهما على استقلالها، رغم مرور الزمان، ورغم سعي المدنية لمزجهما، ومحاولة النصرانية لذلك. إلاّ أن جميع المحاولات باءت بالإخفاق."[٢] ولا يمكن لدارس الفلسفة وتاريخ الأفكار إلا أن يقف مشدوها أمام هذه القدرة الفائقة التي مكنت النورسي من أن يبلغ هذا الاستنتاج العلمي البديع وهو يحلل جينيالوجيا طبيعة المدنية الغربية من خلال مفهومين يشكلان في حد ذاتهما منظومتين -تمتحان من أصل واحد-: الخيال والمادة، ولأن

(١) الكلمات، ص٤٧٢

(٢) الكلمات، ص٨٥٧

طبيعة الخيال مثالية فكرية روحانية متعالية وطبيعة المادة حسية محايثة فإنهما ظلا مفترقين احتفظ كل واحد منهما على استقلاليته الذاتية في فهم الكون والطبيعة والإنسان، وعجزت مدنية الغرب أن توحد بينهما لأن العقل الغربي عقل تجزيئي عاجز عن الخروج بالاختلاف إلى الوحدة، وبالتضاد إلى التناغم. وحين يتجه العقل بانغلاقيته وقصوره نحو فهم المادة مغرورا بقدراته غير آبه بما سواه فإنه يتحول إلى إله جديد، وحين تنطلق ملكة الخيال في الإبداع بعيدا عن الاحتكام إلى قوانين المادة وسنن الكون واستثمار معطيات الطبيعة بعقلانية لن نكون في النهاية سوى أمام خيال ساذج لا ينهض بحضارة ولا يقيم عمرانا.

وعودا إلى نص النورسي[1] نتبين المنظومة القيمية الحداثية التي حلت محل المنظومة القيمية ذات المرجعية الدينية وذلك من خلال بسطه للدعائم الكبرى التي تقوم عليها المدنية الغربية وهي: القوة، والمنفعة، والصراع، والعنصرية. وهذه ليست مجرد مفاهيم بل رؤية للوجود ونسق فلسفي في تصور وظيفة العلم أفلح النورسي في استخلاصها من مصادرها الفلسفية ومن أصولها التاريخية. وبالرجوع إلى الإنتاجات الفلسفية الحاسمة في تاريخ الغرب نستبين سبيل هذه الرباعية المفاهيمية؛ فإرادة القوة مفهوم أصله نيتشه في مقاربته الجينيالوجية للأخلاق معتبرا الأخلاق وهما وخرافة، والإنسان هو مركز الكون، ونبذ الأخلاق المسيحية لصالح أخلاق وثنية مادية طبيعية. ولذلك عد نيتشه بحق الوريث الحقيقي لكل الصراعات التاريخية ضد الأخلاق والدين، بل هو فيلسوف العلمانية المادية بامتياز، وليست الصهيونية العالمية سوى التعبير النموذجي المثالي لفلسفة القوة لدى نيتشه وعدميته التي أنتجت في بدايتها الاعتداء على الآخر ونفيه وإقصائه وتجاوزه بالعنف الدموي مع نازية هتلر ثم اتخذت هذه النازية أشكالا وأبعادا متعددة. أما المنفعة فهي التي تقود إنسان الحداثة الغربية نحو التحرر من كل المطلقات والمقدسات والتمركز حول اللذة والإباحية وإلغاء الحدود بين الرغبة والحاجة، وتمثل البراغماتية الأمريكية مع وليم جيمس رمزا من رموز الحداثة التي فصلت الأفكار والمعارف عن أبعادها الأخلاقية الإنسانية، وأقصت القيم من مجال العلم مادامت القيم لا تعبر عن مردوديتها الإنتاجية وصلاحيتها العملية. ولعل ثنائية القوة والمنفعة تبدو مع النورسي ثنائية جدلية؛ فالمنفعة لكي توطن نفسها تتوسل بالقوة

(١) الكلمات، ص٤٧٢

رمزية كانت أم مادية، والقوة لكي تكون فعالة لابد أن ترتبط بصناعة وهم تحقيق الفردوس الأرضي للإنسان. ولم يكن بإمكان المنظور الجديد للعلم المفصول عن الأخلاق أن يتوطد ويتقوى لولا قدرة العلم التسويقية لنموذجه المعرفي عبر منتجات ثقافية وتعبيرات مادية أغرقت الإنسان في متاهات الاستهلاك وأغوته ببريق اللذة وأدمجته في منظومة شأنها التزاحم التناحري كما يعبر عنه اليوم النموذج الأمريكي من خلال السيطرة على ثروات العالم ومقدرات الشعوب وعولمة النمط الاستهلاكي واعتباره نهاية التاريخ. فالإنسان الأخير حسب هذا المنظور هو الإنسان الاستهلاكي المادي الطبيعي غير القادر على إدراك معاني القداسة وأسرار الحياة. أما الصراع فهو دستور هذه الحداثة وقانونها التاريخي، ولا يمكن أن ينتج عن القوة والمنفعة سوى الصراع، فالصراع هو الآلية التي تغذي العلاقات الاجتماعية والأشكال الثقافية وكل الأنظمة الرمزية والمادية، ولذلك فتاريخ الغرب هو تاريخ الصراع بين ثنائيات فشل العقل الغربي في إعادة بنائها وترتيبها من جديد فاضطر إلى إلغاء الغيب في فهم الطبيعة، وإبعاد الدين من الحياة، وفصل الأخلاق عن العلم لأنها في نظره ثنائيات قائمة على الصراع والتنابذ وغير قابلة للتصالح. وقد عبرت فلسفة المادية الجدلية في المشروع الماركسي عن التتويج النهائي لفلسفة الحداثة في تأصيلها لمفهوم الصراع وإمداده بأبعاد مادية عملية ثورية يتحقق بها التحول التاريخي نحو آمال الطبقة المستغلة. وقد أوغلت هذه الفلسفة في ضلالها حتى اتخذت دستور الصراع حاكما مهيمنا على الموجودات كافة، فقررت ببلاهة متناهية "إن الحياة جدال وصراع"[1] ولاشك أن مثل هذه الفلسفة لم تنتج سوى التصادم والعنف والعداء وعدم القبول بالآخر والتعايش معه. وأخيرا العنصرية التي هي في النهاية وريثة الصراع والمعبرة عن الشعور بالاستعلاء والاستكبار الغربي وتميز الرجل الأبيض والنظر إلى الآخر نظرة غرائبية مهدت لاستعماره وإبادة حضارته ثم تنميطه وقولبته.

الموازنة بين مدنيتين أو حداثتين في المنظور النوري

ويعقد النورسي موازنة بين المدنية الشرعية والمدنية الحاضرة، وبين الحكمة القرآنية والنظر الفلسفي، ويمكن إجمال الموازنة الأولى في الجدول الآتي: إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها.يقول النورسي عن المدنية الحاضرة:

---

(١) الكلمات، ص٦٤٤

فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة.

هدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

دستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد. ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.

إن معظم هؤلاء المدنيين، لو قلبتَ باطنهم على ظاهرهم، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير.

نعم! إن خيالك ليمس فراء تلك الحيوانات وجلودها.. وآثارهم تدل عليهم.

انه لا ميزان في الأرض غير ميزان الشريعة. إنها رحمة مهداة نزلت من سماء القرآن العظيم.

أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية.

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء. **وهدفها:** الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.

دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم.

رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة واخوة الإيمان. وشأن هذه الرابطة: اخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية.

وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع ضد أي عدوان خارجي"[١]

أما بخصوص الموازنة الثانية فيرى النورسي أن النظر الفلسفي الحداثي للعلم يتوسل في بنائه المعرفي بظواهر الأشياء وصورها المادية، فيقدس الطبيعة ويعجب بالتزيينات والزخارف والنقوش مصادرا بذلك معانيها وغير موقر لحقيقتها. فالعلم في مرجعيته النظرية من المنظور الحداثي الغربي ليس سوى "سفسطة لا حقيقة لها"[٢] وفي بعده الأخلاقي ليس سوى "تحقير للكون وإهانة له"[٣] ولا يتولد عن السفسطة والتحقير سوى غرور وعجب بالكسب المعرفي والعلمي، وتمرد على القيم لصالح التذلل للذات والخنوع لها، ومكر السيئ جعل من المنفعة مذهبا فلسفيا يفصل العلم عن الأخلاق، والمعرفة عن القيم.

لقد أدرك النورسي أن الحداثة الغربية لاهوت جديد قام على أنقاض لاهوت الكنيسة أو المسيحية المحرفة التي خرجت مهزومة في معركتها مع العلم والحداثة مما شكل فرصة تاريخية حقيقية للإجهاز على كل الفلسفات الأخلاقية وإقصاء المنظور القيمي للعلم والتأسيس لمنظور حداثي تشكل ثقافيا عبر تحولات عميقة في البنية المعرفية والتشكيلات الاجتماعية ثم ترسخ مؤسسيا عبر أجهزة تنظيمية وقانونية اقتصاديا وسياسيا وتعولم من خلال بنيتها المفاهيمية الشرسة: القوة والمنفعة والصراع والعنصرية، وكانت الثمرة الأخلاقية العملية لذلك هو التحول من الرشد وتلمس الحقيقة والجمال إلى مجرد إشباع للرغبات والميول وإثارة الأهواء بما لا تبقى معه أية رؤية لحقائق النفس والحياة، وجمال الكون وأسرار الطبيعة، ويغيب تعقل الوجود الإنساني خلقا ونشأة ومصيرا فلا تتحقق سوى سعادة ظاهرية وهمية تمنح لقلة قليلة سرعان ما يكشف عن زيفها وبريقها الخادع.

---

(١) النورسي، الكلمات، ص٨٥٥و٨٥٦

(٢) النورسي، الكلمات، ص١٤٤

(٣) النورسي، الكلمات، ص١٤٤

في النقد الأخلاقي والمعرفي لإشكالية العلم والأخلاق في الحداثة الغربية

وفي واحدة من نصوصه النورية التي تنم عن رؤية موضوعية كلية متكاملة يبرز النورسي أن نقده للمدنية الحاضرة ليس رفضا لمعطيات العلم أو إلغاء للتقدم التقني وإنما تصويب وإعادة تصحيح في الرؤية والمنهج "فمما لا ينبغي أن ننكر أن في المدنية محاسن كثيرة، إلاّ أنها ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم وملك الجميع، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها، وحث الشرائع السماوية- ولا سيما الشريعة المحمدية وحاجة الفطرة البشرية. فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام. لذا لا يتملكها أحدٌ من الناس.."[1] فالمدنية المعاصرة هي نتاج تراكم تاريخي أسهمت فيه كل الثقافات والحضارات عبر التاريخ وإن كان التثوير الحقيقي هو تثوير رسالي أحدثه الإسلام في دنيا العالم. من هنا لم تكن المشكلة مع المدنية أو الحداثة الغربية من حيث هي مدنية أو حداثة فحسب، فليس مقصود النورسي التنكر لصيرورة التطور التاريخي الإنساني أو الدعوة إلى ماضوية منغلقة على ذاتها، بل على العكس من ذلك عمد النورسي إلى كشف زيف الحداثة الغربية وبيان ضررها على الكون والنفس والحياة، وأنها من حيث هي رفضت المقدس تحولت هي نفسها إلى حقيقة مقدسة، ومن حيث أنها آمنت بالنسبي حولت ذاتها إلى مطلق بديل، ومن حيث ألغت عبادة الله ألهت الطبيعة وصنعت لنفسها أوثانا جديدة فوقعت في جبرية المادة من حيث هي فرت بحسب زعمها من جبرية الدين . لقد كان حصاد الحداثة مرا وفتنتها عظيمة عندما ألهت العقل، وأقصت القيم والأخلاق، وانصرفت إلى لاهوت العلم والطبيعة والمادة، ودعت إلى استقلال الأخلاق عن العلم، واستقلال الإيمان عن الأخلاق، واستقلال العلم عن الإيمان، ونتج عن ذلك غياب المعنى وضياع الهوية وضلال الإنسانية وإفقار الحياة من كل مقوماتها الحقيقية. ولا يكتفي النورسي رحمه الله بهذا البيان الأولي في خلخلة البنية المفاهيمية التي استندت عليها الحداثة في تدويلها للمنظور المادي للعلم المفصول عن كل الأبعاد الأخلاقية والقيمية ذات المرجعية الدينية السماوية بل انصرف جهده التحليلي في تفكيك الأسس المعرفية والموجهات الأخلاقية الجديدة والكشف عن الأصول التاريخية والمرجعية الفلسفية للانقلاب الكوبرنيكي حيث صارت الأخلاق هي التي تدور حول العلم وتخضع له وتصطبغ بلون مقارباته الجديدة بما لم تعد به تلك الأخلاق أخلاقا على الحقيقة. ويمكن إجمال ذلك على الشكل الآتي:

---

(١) النورسي، الكلمات٨٥٨و٨٥٩

- تعظيم أمر العقل تمهيدا لتوثينه

كان عصر التنوير الغربي إعلانا عن التشكيك في المسلمات والمطلقات وتحطيم كل السلط الماضوية بفعل الصرخة العقلانية الديكارتية والصرخة النقدية الكانطية في الدعوة إلى استخدام العقل بكل جرأة، أي بكل جرأة على كل المؤسسات القديمة التي يمثل الدين واحدة من أخطرها. ولأن المطلق الديني لا يسعه النظر العقلي فإن هذا الأخير قد تحول إلى قوة تفسيرية أسطورية وسلطة للسيطرة والتحكم، وقد نادى النورسي كل منخرط في مثل هذا الاختيار المنهجي بقوله "اعلم! أيها المتفلسف المرجّح للعقل على النقل، فتؤّل النقل بل تحرّف؛ إذ لم يسعه عقلُك المتفسخ بالغرور والتغلغل في الفلسفيات! إنني كنتُ في حينٍ كما كنتَ،..."[١] فالعقل لا يسع الغيب والدين وهما يسعانه، إذ حقائق الغيب فوق العقل لا خارج عنه، ومن حيث أن الدين هو الأخلاق، فالعقل بنى نظام العلم في انفصال عن الأخلاق، ولم تسعه طاقته أن يدرك عالم القيم فألغاها ونفى قاعدتها التي هي الغيب وبالتالي نفى مصدر الأخلاق ومرجعيتها العليا. وقد أنتج هذا المنظور معارف وعلوما شعر الإنسان معها بنوع من الطغيان والاستغناء والتمرد على كل القيم دفع بالنورسي إلى اعتبار "الفلسفة المادية طاعون معنوي،... فانبهار الإنسان بالعلوم، وانغماره في تقليد المدنية الحاضرة أعطاه الحرية وروح الانتقاد والتمرد، فظهر الضلال من غروره."[٢]

إن معقولية القيم متقدمة عن إدراك العلم لها ومجاوزة له، ولا حرج أن يتوسل العقل بما هو فوقه دون تنكر أو جحود وإلا انقلب على ذاته، فالعقل درجات ومستويات، ولعل المراجعات الفلسفية والعلمية حول بنية العقل ووظيفته ومضمونه التي واكبت التحولات العلمية الكبرى في القرن العشرين قد أعادت النظر في أسطرة العقل وتعظيمه.

- الوجود مادي لانهائي ولا علم إلا به، والقيمة والمعنى مفارقان غير محايثان له.

نتج عن تهويل أمر العقل وإلغاء الأخلاق من مجال العلم دخول العقل في تفهم الوجود معزولا عن أية موجهات دينية أو منظومات قيمية ماكرا بكل المعطيات الكونية مكر السوء، ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾

---

(١) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص١٩٠

(٢) النورسي، الكلمات، ص٨٧٧

(فَاطِرٍ: ٤٣) مغرقا في التفسير المادي للموجودات نازعا عنها سر القداسة، ذلك "إن فلسفة البشر وحكمته تنظر إلى الدنيا على أنها: ثابتة دائمة، فتذكر ماهية الموجودات وخواصها ذكراً مفصلاً مسهباً، بينما لو ذكرتْ وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فإنها تذكرها ذكراً مجملاً مقتضباً. أي أنها تفصّل في ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماماً كبيراً."[١] فحينما أعرض العقل عن الدين واستبعد العلم القيم والأخلاق وألهت المادة وتحولت الطبيعة بذلك إلى صنم جديد لم يتحقق الإدراك الكلي الوظيفي المقاصدي لكل موجود مادي أو غير مادي لأن الفلسفة العلموية قدمت وعيا مسطحا وشقيا عن الكون لم يعد بمقدور الإنسان فهم وظيفته ولا تلمس معانيه. وكيف يمكن لفلسفة أنكرت دور الدين والأخلاق أن تكشف عن حجب الوجود وتعرف تجليات الأسرار خلف أستار المادة "إن علم أولئك الفلاسفة ليس علماً، بل جهل. وان حكمتهم سخافة وخالية من الحكمة!"[٢] إن هذا الفلسفة فلسفة ساذجة حيث لم تر المعقولية إلا فيما هو مادي ثابت، فالوجود ليس سوى وجودا ماديا لانهائيا، ولا يمكنه أن يحيل على أي معنى أو قيمة أخلاقية، ولذلك ينفي النورسي عن هذه الفلسفة لقب الحكمة، فأية حكمة لمن وثق بالعقل وألغى ما سواه ظنا منه أن العقل يملك قدرة سحرية على فك رموز العالم، وهذه سخافة وبلادة. وقد تجلت اليوم هذه البلادة بصورة واضحة حينما يقدم الغرب على إبادة كائنات حيوانية بأفعاله اللاأخلاقية بسبب عدم إدراكه لكنه وظيفتها ودورها الذي مكنه منها خالقها، فتم على سبيل المثال إحراق مساحات من الحشائش على طول البحر الأبيض المتوسط مما سبب في تزايد مخيف للأفاعي التي كانت تأكلها القنافذ وتنجو من سمها بعد أكلها لتلك الأنواع من الحشائش. "إن الحقيقة المطلقة لا تحيط بها أنظار محدودة مقيدة"[٣] مثل حدود العقل وقيوده التي تنأى به - لما ألغى الغيب وأقصى القيم والأخلاق - عن أن يقدم معرفة كلية أو يحيط بسر من أسرار الحقيقة الكاملة "ولما كان المنهج العقلي العلمي يكتفي بظواهر الأشياء من دون الحقائق الباطنة التي تستند إليها هذه الظواهر، مدخلا لكل شيء في حيز المكان والزمان، حرمت وسائله من وصف النجوع، لأن تحصيل هذا الوصف يستلزم الجمع بين ظواهر الأشياء وبواطنها كما

(١) النورسي، الكلمات ٥٠٨

(٢) النورسي، الكلمات٦٥٧

(٣) النورسي، الكلمات٥١٢

يستلزم الوفاء بتوجهات الإنسان وتطلعاته إلى عالم المعاني السامية التي لا يسعها المكان ولا يجري عليها الزمان".[١]

- **لا أخلاق في العلم أوقع العلم في القول بالعبث والمصادفة.**

حيث لا يمكن فصل الأخلاق عن الغيب، أو فصل الأخلاق عن الدين، أو فصل الدين عن الغيب، فإن العلم في المنظور الحداثي الغربي لما أتى على هذه القواعد رفضا لا نقدا، وإلغاء لا دحضا، وقع في القول بعبثية الوجود والمصادفة في الطبيعة استلزاما لقوله بالتصور المادي للحياة، وهو ما انتهى به إلى الإفلاس النظري والمصادمة مع حقائق كونية صار العلم عاجزا عن تفسيرها أو حتى البحث لها عن حلول ما، وهو ما دفع بالبعض - اعترافا - إلى القول بوجود عنصر غير مادي في المادة وضرورة تأسيس فيزياء لاهوتية، وهو دوران في حلقة مفرغة لأن اللاهوت الغربي عجز في ذاته عن الإجابة عن القضايا الحضارية الكبرى للإنسان الغربي فتنكر له وأحاله على التقاعد، وإذ يحاول اليوم العودة إليه لا يملك الجرأة الكافية على تلمس الطريق الحق بالاستمداد من الإسلام بعيدا عن روح التعصب والحقد والصراع. وكثيرا ما وصف النورسي المصادفة بالعشواء والأسباب بالعجز[٢] وينادي ذلك "المتفلسف المفلس ما تقول في هذه النافذة العظيمة؟ أيمكن للمصادفة التي تعتقد بها أن تتدخل في هذه الأمور...؟"[٣] ويؤكد النورسي افتقار هذا التفلسف اللاعقلي إلى المنطق والحكمة، وعدم قدرته بانحداره إلى درك الماديات عن التحقق بما يختزنه الوجود المادي من وظائف سامية وحقائق روحية فيتيه في عالم من الأوهام ويضطر لاختلاق أساطير جديدة تمويها وهروبا عن الاعتراف بالعجز، بل "إن الماديين الذين انحدرت عقولُهم إلى عيونهم، فلا يرون إلاّ المادة، يرون بحكمتهم الخالية من الحكمة وبفلسفتهم المبنية على أساس العبث في الوجود:

إن تحولات الذرات مربوطة بالمصادفة. حتى اتخذوها قاعدة مقررة لدساتيرهم كلها، جاعلين منها مصدر إيجاد للمخلوقات الربانية!

---

(١) عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركزالثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى٢٠٠٠، ص٦٧

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٧٩٨وص٨٠١

(٣) النورسي، الكلمات، ص ٧٩٢

فالذي يملك ذرة من الشعور يعلم يقيناً مدى بُعدهم عن منطق العقل، في إسنادهم هذه المخلوقات المزدانة بحِكَمٍ غزيرة، إلى شئ مختلط عشوائي لا حكمة فيه ولا معنى."[١] ولأن أمر الحكم والمقاصد والغايات لا تدرك إلا بوساطة منظومة أخلاقية قيمية تنطلق من مبادئ ومعايير النفع والضرر، والخير والشر، والمصلحة والمفسدة فإن العقل الغربي لما احتار في تفهم أسرار الوجود اختار التفسير العبثي باعتباره التفسير الأكثر انسجاما مع المنطلقات المعرفية لهذا العقل لينقذ نفسه من ذلك الخوف الذي ظل يطارده في علاقته مع الطبيعة، ولو كان هذا العقل الغربي يملك ذرة من الشعور بالمعنى وروح الوجود لوقف على هزالة هذه المقاربة الغريبة ولأدرك بعمق أن "الطبيعة ليست طابعة، بل مطبع... ولا نقاشة بل نقش، ولا فاعلة بل قابلة للفعل... ولا مصدرا، بل مسطر... ولا ناظما بل نظام... ولا قدرة بل قانون. فهي شريعة إرادية، وليست حقيقة خارجية".[٢]

الطبيعة مبدعة مكتفية بنفسها والأسباب مؤثرة بذاتها

يكشف النورسي عن أبعاد القول بالمصادفة وعبثية الوجود في استكمال المشروع الحداثي الغربي لإجهازه على الأخلاق والدين في ميدان العلم والمعرفة الإنسانية، وهو قول سينتهي بأصحابه إلى منح الطبيعة المصدرية المطلقة في خلق الأشياء والقوة الفاعلة في التأثير لتتحول إلى إله ومقدس بديل مكتفية بنفسها ليصير كل شيء يفسر بها ويؤول أمره إليها "إن الفلسفة تمنح التأثير للأسباب، وتعطي بيد الطبيعة الإيجاد والإبداع، فلا ترى الآيات المتلألئة على كل موجود، الدالة على الخالق العظيم - كما أثبتناه في "الكلمة الثانية والعشرين" - فضلاً عن أنها تسند خلق قسم من الموجودات - التي هي مكاتيب إلهية صمدانية - إلى الطبيعة العاجزة الجامدة الفاقدة للشعور، والتي ليست في يديها إلاّ المصادفة العشواء والقوة العمياء، جاعلة لها - أي للطبيعة - مصدرية في خلق الأشياء، وفاعلية في التأثير! فحجبت آلاف الحِكم المندرجة في الموجودات."[٣] فلما تم توثين الطبيعة وتأليهها وهي من هي في عجزها وضعفها حول الإنسان الغربي مجال صراعه من الدين إلى الطبيعة لأنه اتخذها دينا جديدا وهو لا يكاد ينفك عن البحث عن موضوع للصراع أو التصارع معه، وآل به الأمر إلى فرض سيطرته

(١) النورسي، الكلمات، ص ٦٥٥

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٨٤٢

(٣) النورسي، الكلمات، ص ٦٤٦و٦٤٧

عليها بسلطان العلم المادي بعد أن نزع منها كل دلالة قيمية أو دينية فحجبت عن هذا العقل آلاف الحكم والمقاصد وصار عقلا أداتيا ماديا طبيعيا أنى له أن يدرك ما هو فوقه من المعاني الروحية والمقاصد العلية بعد أن تجرد من الأخلاق ورفض أن يسدد نظره باعتمادها. "أن العقول التي ضاقت أمام "العظمة" و "الكبرياء" و"المطلق غير المتناهي" وقصرت عن إدراكها نتيجة الغفلة أو المعصية أو الانغماس في الماديات والانسياق وراءها قد أخذت - هذه العقول - تزل إلى الإنكار وتنفي - بغرور علمي - المسائل الهائلة العظمى لعجزها عن الإحاطة بها"[١]. وحينما ألغت هذه الحداثة العلاقة بين العلم والخلاق لم تراع مبدأ اعتبار المآل لأنها جهلت الحكمة من العلم وانشغلت بأسبابه، كما انصرفت عن النظر في المآل المحقق للنفع العاجل والآجل وقصرت رؤيتها على الحال، وهو ما عبر عنه طه عبد الرحمن بقوله: "إن العلم النافع لا يكون إلا بالنظر في حكمة الشيء قبل سببه ومآله قبل حاله"[٢] ويذهب النورسي أكثر من ذلك حين يبرز الأثر النفسي الخطير الناجم عن الوقوع في عبادة الأسباب وتأليه الطبيعة والمتمثل في شيوع الأنانية ومعارضة الفطرة الإنسانية، فأشار إلى تخرصات "عَبدة الأسباب وعَبدة الأصنام وعبدة الطبيعة وعبدة النجوم، وذلك بتهييجهم "الأنانية" لتجري طليقة في أودية الشرك والضلالة، فسدّوا سبيل العبودية إلى الله، وغلّقوا أبواب العجز والضعف والفقر والحاجة والقصور والنقص المندرجة في فطرة الإنسان، فضلوا في أوحال الطبيعة ولا نجوا من حمأة الشرك كلياً ولا اهتدوا إلى باب الشكر الواسع."[٣] إن رفض العلم الغربي وصل الطبيعة بخالقها هو رفض لاتصال العلم بالأخلاق، ووصله في مقابل ذلك بالفلسفة المادية التي يصفها النورسي بالملوثة بالضلالة ويعلن مطارحتها ومنازلتها بلا هوادة مهما بلغ مشاهيرها مبلغهم من الشأو والعظمة، وهو يقول في ذلك: "وان قلت: فما تكون أنت حتى تنازل هؤلاء المشاهير؟ فهل أصبحت نظير ذبابة حتى تتدخل في طيران الصقور؟

وأنا أقول: لما كان لي أستاذ أزلي وهو القرآن العظيم، فلا أراني مضطراً أن أبالي - ولو بقدر جناح ذبابة - في طريق الحقيقة والمعرفة، بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ

---

(١) النورسي، الشعاعات، ص١٣٩

(٢) عبدالرحمن، طه، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى٢٠٠٦، ص٩٣

(٣) النورسي، الكلمات، ص٦٤٢

الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام. فمهما كنت أدنى منهم درجة إلاّ أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حدّ لها من أستاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطع المادةُ التي أغرقتهم أن تبلل قدمي. نعم! إن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم وقوانينه، يمكنه أن ينجز من الأعمال مالا ينجزه مشير لدى ملك صغير."[١]

وقد خبر النورسي رحمه الله حقيقة فلسفة الحداثة وأصولها التاريخية وتمكن بنور القرآن أن يقدم استنتاجا فريدا يوضح فيه كيف استبدلت الحداثة الطبيعة بالله، وأرادت أن تفر من جبرية الدين بزعمها فوقعت في جبرية المادة، وصنعت آلهة كثرا سلطتهم على الإنسان المعاصر فأوبقته واسترقته ولم نشهد في تاريخ البشرية استعبادا كما هو الحال اليوم. وقد عبر عن ذلك بقوله: "نعم! إن الفلسفة القديمة لمصر وبابل، التي بلغت مبلغ السحر، شأو تُوهّمت سحراً - لاقتصارها على فئة معينة - هي التي أرضعت الفراعنة والنماريد وربّتهم في أحضانها، كما أن حمأة الفلسفة الطبيعية ومستنقعها مكّنت الآلهة في عقول فلاسفة اليونان القدماء، وولدت الأصنام والأوثان. حقاً إن المحجوب عن نور الله بستار "الطبيعة" يمنح كلَّ شيء ألوهيةً، ثم يسلطه على نفسه" [٢]

الآثار المترتبة عن المنظور الحداثي للعلم والأخلاق

لكن في مقابل هذا النقد يقدم النورسي جملة من الآثار المترتبة عن هذا التصور الحداثي المادي للعلم منطلقا من الرؤية القرآنية الكونية للوجود والكون والإنسان مؤكدا على "أن الحقيقة المطلقة لا تحيط بها أنظار محدودة مقيدة. إذ تلزم نظراً كلياً كنظر القرآن الكريم ليحيط بها. فكل ما سوى القرآن الكريم – ولو يتلقى الدرس منه – لا يرى تماماً بعقله الجزئي المحدود إلاّ طرفاً أو طرفين من الحقيقة الكاملة"[٣] فالرؤية القرآنية رؤية كلية تكشف لمن يتلقى الدرس منها عن أسرار الوجود ومعاني الحقيقة المطلقة في مقابل النظر الحداثي الغربي الجزئي الذي لا يدرك إلا ظواهر الأشياء ويغفل بواطنها فيقف كليلا حسيرا، لأن فلسفته السقيمة "بتدقيقاتها الفلسفية وتحرياتها، وبمفهوم الطبيعة المادي، وبمغريات المدنية السفيهة الفاتنة، وهوساتها وعربدتها.. كثّفت تلك الدنيا وزادتها صلابة وتجمداً، وعمّقت الغفلة في الإنسان، وضاعفت من

(١) النورسي، الكلمات، ص ٦٤٨ الهامش رقم ١

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٦٤٠ الهامش رقم ١

(٣) النورسي، الكلمات، ص ٥١٢

لوثاتها وشوائبها حتى أنستْه الصانع الجليل والآخرة البهيجة."[١] ولعل هذا من أعظم آثار الفصل بين العلم والأخلاق والدين؛ حيث تعظم الدنيا في عيني صاحبها وتقع في قلبه موقع الثابث الذي لا يتحول فتحصل له الغفلة عن حقائق الوجود والخلق والمصير، ذلك أن هذه "المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل اصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا مُحيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما، أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة"[٢] فنخن أمام همجية جديدة لا مدنية حاضرة، وأمام إفقار ذكي لا غنى متوهم، وأمام استبداد مغلف لا حرية خادعة، وأمام شهوة مستحكمة لا عقل مسترشد. وبذلك فقدت البشرية سعادتها وصارت البداوة بذلك أفضل من المدنية الحاضرة التي صنعت للإنسان حاجات جديدة وأقحمته في منظومة استهلاكية تعتمد الإغراء والإغواء عبر إطلاق الأهواء إطلاقا بهائميا. وهكذا استنتج النورسي أن الحداثة الغربية:

- قيد لا تحرر، فهي من حيث أوهمت الإنسان بالاندفاع نحو التحرر من الدين أوقعته في أغلال المادية.

- إنها مبعث الشقاء، ووهم المنفعة، وزيف المتعة، فهي ضد الإنسان، وبهذا المعنى تكون الحداثة لاإنسانية.

- ولدت حاجات جديدة وصنعت عالما غرائبيا افتراضيا استهلاكيا إباحيا أفسد الأذواق وشوه الفطرة وعبث بالقيم والأخلاق.

- جعلت الحياة اليومية للبشر جد معقدة، وأوقعت القلوب في حيرة، وصرفت العقول عن الحقائق المعنوية "بينما في العصر الحاضر: فان تحكم الحضارة الأوروبية، وتسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقد متطلبات الحياة اليومية.. كلها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان."[٣]

---

(١) النورسي، الكلمات، ص ٥١٠

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٨٥٦

(٣) النورسي، الكلمات، ص ٥٦٤

المنظور النوري البديل

ويعرض النورسي بين ثنايا رسائل النور البديل القرآني لعلاج آفات المدنية الحاضرة وتجاوز منظورها المادي الطبيعي اللأخلاقي وذلك بالتأكيد على المقاربة المقاصدية الكاشفة عن كليات المعاني وأصول الحقائق، فحقيقة الوجود الكوني وظواهر الطبيعة وإن كانت لها خواص وحركة مادية فإنها في حقيقتها منقادة للأوامر التكوينية الإلهية، وهي كلها دالة على أسماء صانعها الحسنى[١] إذ لا فعل للموجودات في ذاتها ولا تأثير للأسباب بدون فعل خالقها، إذ "يحرّك سبحانه وتعالى الذرات بقدرته في حكمة تامة ويسخرّها في وظائف منتظمة إظهاراً لكمالات إلهية لا نهاية لها، وجلوات جمالية لا حدّ لها، وتجليات جلالية لا منتهى لها، وتسبيحات ربانية لا عدّ لها، في هذه الأرض الضيقة المحدودة، وفي زمان قليل متناه"[٢] فرؤية النورسي للبديل عن الحداثة وتصورها للعلم رؤية واضحة تنتظمها هذه المفاهيم الكلية: الكمال والجمال والجلال المفضية إلى التسبيحات الربانية؛ دليلا على الإيمان بعظمة الله تعالى الخالق المبدع، وبذلك تكون الطريق سالكة مؤنسة غير موحشة، إذ لا تنظر "إلى الموجودات بالمعنى الاسمي، أي لا ينظر إليها أنها مسخرة لنفسها ولذاتها، بل يعزلها من هذا ويقلدها وظيفة، أنها مسخرة لله سبحانه."[٣] وكل من الكمال والجمال والجلال لتعلقها بالله تعالى صارت لا متناهية، لا منتهى لها ولا عد، وبالتوسل بها - وهي جماع الأخلاق ولا ريب - يمكن إدراك كل ظواهر الكون وموضوعات العلم، وهي دعوة إلى الارتباط بالأسماء الحسنى باعتبارها المنظومة الكلية المطلقة لعالم القيم والأخلاق التي توجه العقل المسلم لإدراك الطبيعة من خلال منظومات التسخير والاستخلاف والتوحيد والإيمان (التزكية). وهكذا يتخذ العلم في المنظور النوري أبعادا توحيدية إيمانية يكون فيها العلم موجها من لدن الوحي غير مفصول عن الهدى الأخلاقي، إذ "جميع المزايا الإنسانية وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد وتتحقق بسر التوحيد، فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات واضعف الحيوانات واشد ذوي المشاعر حزناً وأكثرهم عذاباً وألماً. ذلك لان الإنسان يحمل عجزاً غير متناه، وله أعداء لا نهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لا حدود له وحاجات لا

(١) النورسي، الكلمات، ص ٥٠٨

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٦٥٧

(٣) النورسي، الكلمات، ص ٥٦١

حدود لها."[١] مستعينا بـ"وربك الأكرم" على" اقرأ باسم ربك الذي خلق" وإلا صار معاديا للإنسان ومنتجا لمرضي الطغيان والاستغناء" إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"، وهو ما يفضي إلى تحقق المقصد التسخيري التعميري للعلم فلا يرتد على ذاته" استكبارا في الأرض ومكر السيئ" ولا يتحول إلى مجرد ميتافيزيقا مغرقة في الجدل فيما ليس تحته عمل، فيتخلف مقصود الاستخلاف ويضيع مفهوم الارتفاق الكوني، وليس هناك من طريق سوى طريق العجز والشفقة والفقر والتفكر[٢] لمعرفة الحق، إذ العجز موصل إلى المحبوبية بطريق العبودية، بخلاف الحداثة الغربية التي زكت نفسها وادعت القوة، والشفقة أنفذ في السير بطريق الرحموتية، بخلاف الحداثة الغربية التي ملكت عليها المنفعة أمرها فصارت أمارة بالسوء، والفقر موصل إلى التعارف والتعاون بخلاف الحداثة الغربية التي أصابها الفخر والعجب، فأشاعت العنصرية، فبطرت واستكبرت، والتفكر الموصل إلى الحكمة والتبصر والتدافع السلمي، بخلاف الحداثة الغربية المفضية إلى الصراع والتناحر.

إن قاعدة هذه المسالك الأربعة هي قاعدة الإيمان باليوم الآخر، إذ بالتفكر فيه واليقين بما يحصل فيه من المشاهد مفض إلى التعلق بالأخلاق "فان لم يكن "الإيمان بالآخرة" مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي. وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها"[٣] لكن إذا حكم هذا الإيمان باليوم الآخر قلوب الناس وعمر بيوتهم "فان الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح فيها فتظهر الاحترام المتبادل والرحمة الجادة، والمحبة الخالصة بلا عوض، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال، والمعاشرة والإحسان بلا رياء، والفضيلة والتوقير بلا استكبار، وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً".[٤]

---

(١) النورسي، الشعاعات، ص ١٨

(٢) النورسي، الكلمات، من ص ٥٥٨ إلى٥٦١

(٣) النورسي، الشعاعات، ص ٢٨٣

(٤) النورسي، الشعاعات، ص ٢٨٣

خاتمة

هذه بعض الإشارات عن جهد علمي جبار أنجزه حكيم العالم الإسلامي في القرن العشرين بديع الزمان النورسي حيث جدد بحق العمل الذي أنجزه أبوحامد الغزالي في الانتصار للأخلاق ونقد الفلسفات المادية اليونانية والمنطق الأرسطي الصوري وإحياء ما اندرس من الكليات الأخلاقية وأثرها في تشكيل العقل الأخلاقي العملي. وقد أسهم النورسي بذلك في إعادة الاعتبار لجدلية العلم والأخلاق من خلال نقد الحداثة الغربية أخلاقيا ومعرفيا وتقديم المنظور القرآني بأبعاده المقاصدية وعمقه التوحيدي وأساسه الإيماني المؤسس لروح الاستخلاف وفلسفة العمران والضامن لإنسانية الإنسان والمفضي لسعادة الدنيا والآخرة بعيدا عن التناقضات الحدية التي سكنت العقل الغربي وأدخلته في متاهات نظرية وظواهر سلوكية ليس لها من مخرج سوى نور القرآن القاضي بأنه لاأخلاق بدون دين، ولادين بدون غيب، ولاعلم بدون أخلاق، وأن ما لايدركه العقل ليس بالضرورة غير عقلي بل هو فوق العقل يحتاج إلى الغيبيات ليدرك تلك المساحات الهائلة التي ما يزال الإنسان يجهلها. فرحمة الله على النورسي رحمة واسعة. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المراجع

النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.

النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٤.

النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

عبدالرحمن، طه، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى٢٠٠٦

عبدالرحمن، طه، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى٢٠٠٠.